البطريرك الراعي

البطريرك الراعي راعٍ جليل، ملءَ إهابه الصلاح، وملءَ تاريخه الجهاد في سبيل الله والحق والكنيسة.

البطريرك الكاردينال كبيرٌ بعلمه وفضيلته وورعه وعزّة نفسه. انّه كوكبٌ وضّاء في أفق الانسانيّة الصافيّة والارشاد الطليعي المميز! ذلك انّه تدرّب على التمايز الاعلامي في مكاتب الفاتيكان! كلامه من باب «الحفر والتزيل». اعلن مناهضته «صفقة القرن» من على شاشة «الميادين»، وترك الهواء خلال لقاء مباشر مع قناة «فرانس 24» لدى سؤاله عن تفاصيل زيارته القدس.

يبذل بطريرك العرب الكثير من ذوب قلبه، وعصارة دماغه، وعرق جبينه، من أجل أمته ووطنه وطائفته، ويضرب أروع الأمثلة في التضحية ونكران الذات.

يدافع عن حقوق المضطهدين ويذود عن حياض المظلومين، بهمة لا تعرف الملل. ولا تخشى في سبيل الحق لومة لائم، ويرفع صوته مدويًا ومجاهرًا بكثير من الحقائق الجارحة، ومطالبًا بما ينشده لقومه وأبناء طائفته، من حرية وعدالة واطمئنان.

البطريرك الراعي يرى ان الحق يقوى ويشتد أمام عواصف الجور والارهاق. هذا ما جسّده أخيرًا في مواقفه الجريئة ازاء الوضع المعيشي. لذا، ينبغي ان تعقد من حوله القلوب الأبيّة وتؤيده الاقلام الحرة وتشير اليه أصابع المعجبين، وهو يسير نحو هدفه الأسمى، لا يحفل بما قد يعترض طريقه من عقبات وعثرات، بل انه يلاشي الحواجز والصعاب، كما تلاشي أيدي الرياح الأوراق اليابسة.

تفضّل منذ أشهر بالاتصال بي للتنويه بغزارة نتاجي الأدبي وتعهّد لي بأوفر الحب، وكان لي بمثابة الأب البار الغيور، لم يفرّق بين طائفتي وطائفته، فاثنيت على علمه الواسع وكفايته النادرة وتجرّده الانساني الصادق. إنّه ينهج كسلفه الطيّب الذكر نهج معلمه الإلهي في الرفق والتسامح وتواضع الكبار!

شاء رأس الكنيسة الكاثوليكية ان يظهر تقديره للراعي الصالح وللطوائف الشرقية، فسمّاه كاردينالاً، فدخل بطريركنا مجمع الكرادلة الغربيين وأُعِدّ رسميًا اميرًا من أمراء الكنيسة المقدّسة. وهذا أسطع دليل على ما لغبطته في دولة الدين من مكانة رفيعة ومقامٍ مرموق.

برزت مواهب الكاردينال الراعي في حاضرة الفاتيكان، بأجمل صورها، وأبلغ معانيها، فرفع اسم الشرق في بلاد الغرب، وأثبت بما لا يقبل الجدل، ان هذه الربوع التي أنجبت الأنبياء والمرسلين وكبار الفلاسفة، لا تزال تنجب أقطاب الفكر والأدب، وأفذاذ العاملين المجاهدين في حقول الدين والعلم والفلسفة. عندما تسنّم سدة البطريركية، هرعنا اليه بصحبة صديقه وجارنا الشاعر البجّاني ملحم الخوري الخالد الذكر، فاستقبلنا بعطف الأب الشفيق، وذكر ايامه في بلاد جبيل اسقفًا، وراح يشيد بما لمسه من أهلها من حبّ وولاء. والبطريرك المجاهد، عندما يزور بلدة ما في وطنه، يدخلها على اهازيج الفرح، وأغاريد الولاء، كما يدخل البطل المظفَّر، وتطلق امامه أسراب الحمام، رمز الألفة والوئام والسلام. فلنركن اليه على الدوام وندعو له بطول البقاء.

الدكتور جهاد نعمان